



د. قاسم عثمان جبقي

سوريا

الحذف المُقدَّرُ في القرآن الكريم

تمهيد

أنزل الله - سبحانه وتعالى- القرآن الكريم بلغة العرب، وللعرب مذاهب في كلامها، ومن تلك المذاهب أنها قد تحذف بعض الكلمات في أثناء كلامها، والشواهد الشعرية والنثرية في كلام العرب على الحذف كثيرة، وقد حفل القرآن الكريم بكثير من الحذف في آياته، فليس الحذف في القرآن الكريم دخيلاً عليه، بل إن له فيه مقاماً معلوماً، كيف لا؟ والعربية لغته، والحذف فيها من سننها، فيقولون في مثل أمثالهم: "اللهم ضبعاً وذئباً) إذا كانوا يدعون بذلك على غنم رجل، وإذا سألتهم ما يعنون قالوا: اللهم اجمع أو اجعل فيها ضبعاً وذئباً. وكلهم يفسر ما ينوي، وإنما سهل تفسيره عندهم؛ لأن المضمرة قد استعملت في هذا الموضع عندهم بإظهار"⁽¹⁾.

وقد نقل سيبويه عن شيخه أبي الخطاب الأخفش الأكبر (ت177هـ) أنه سمع بعض العرب وقيل له: لم أفسدتم مكانكم هذا؟ فقال: الصبيان بأبي، كأنه حذر أن يلام فقال: لم الصبيان⁽²⁾. وعقد ابن جني للحذف فصلاً في باب شجاعة العربية في كتابه الخصائص، وأورد شواهد لحذف العرب الجملة والمفرد (الاسم والفعل والحرف) والحركة⁽³⁾، على أن يدل على الحذف دليل، وإلا كان تقدير المحذوف رجماً بالغييب.

ذكر علماء العربية للحذف أسباباً كثيرة، منها: كثرة الاستعمال، والضرورة الشعرية، وطول الكلام، وضيق المقام، وغيرها، كما أنهم اشتروا للحذف شروطاً، ذكرها ابن هشام في كتابه مغني اللبيب، وفصل فيها، وهي:

- 1 - وجود دليل حالي أو مقالي.
 - 2 - ألا يكون ما يحذف كالجزء.
 - 3 - ألا يكون مؤكداً.
 - 4 - ألا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر.
 - 5 - ألا يكون عوضاً من شيء.
 - 6 - ألا يكون عاملاً ضعيفاً.
 - 7 - ألا يؤدي حذفه إلى تهئية العامل للعامل وقطعه عنه، ولا إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القوي⁽⁴⁾.
- أما أغراض الحذف البياني، فقد بين العلماء أن للحذف أغراضاً كثيرة، منها: الإيجاز، والبيان بعد الإبهام، وصون اللسان عن ذكر المحذوف تحقيراً له، وغيرها.

ولا ننسى أن الحذف من الإيجاز، وهو من طبيعة كلام العرب، وقد أوضح أبو عمرو بن العلاء تلك الحقيقة عندما سئل: أكانت العرب تطيل؟ قال: نعم، لتبلغ قيل: أفكانت توجز؟ قال: نعم، ليحفظ عنها. قال ابن جني بعد إيراده كلام أبي عمرو: "واعلم أن العرب - مع ما ذكرنا - إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد"⁽⁵⁾.

إن المتأمل في القرآن الكريم يمكنه ملاحظة ورود الحذف في آيات كثيرة، سواء أكان المحذوف جملة أم اسماً أم فعلاً أم حرفاً، والمحذوف المنوي كالمفوف به⁽⁶⁾، وسأعرض في هذا المقال بعض آيات القرآن الكريم التي لا يمكن أن تفهم إلا إن قدر المحذوف فيها، اسماً كان أم فعلاً. ولا يقصد بالحذف أن في القرآن نقصاً في كلماته، فالله - عز وجل - قد حفظ كتابه من النقصان والزيادة واللحن.

آيات قرآنية كريمة لا تفهم دون تقدير محذوف
 الآيات الأولى: ﴿فَأَمَّا يَا إِلَهَ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ النساء: 171. في هذه الآية الكريمة يخاطب الله - عز وجل - أهل الكتاب ألا يغلو في دينهم، ولا بد من تقدير اسم محذوف قبل كلمة (ثلاثة)، مفهوم من سياق الكلام، تقديره: الآلهة، ويعرب مبتدأ، أي لا تقولوا: الآلهة ثلاثة (الله وعيسى وأمه مريم)، وثلاثة: خبر. الآيات الثانية: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ البقرة:

جاز حذفه تخفيفاً. وأما لو عريت الحال من هذه القرينة وتجرد الأمر دونها لما جاز حذف الحال على وجه⁽⁸⁾.

الآية السابعة: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفَدِّئْهُ﴾ البقرة: 196.

المحذوف في هذه الآية فعل واسم، أما الفعل فتقديره: حلق، وأما الاسم، وهو خبر مقدم للمبتدأ (فدية)، فتقديره: عليه، وبذلك يكون معنى الآية من كان مريضاً أو يعاني من قمل في رأسه فحلق في الإحرام أو اكتحل أو تداوى بشيء فيه طيب فعليه فدية⁽⁹⁾. وقد نزلت هذه الآية في كعب ابن عجرة، رضي الله عنه، وقد آذاه القمل في رأسه، فحمل إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فلما رآه النبي، عليه الصلاة والسلام، قال له: لعلك أذاك هوامك، قال: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو انسك بشاة⁽¹⁰⁾.

الآية الثامنة: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأُبْرِكَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ القصص: 23، 24.

في هاتين الآيتين حذف للمفعول به في أربعة مواضع، ومعنى الآيتين ولما ورد موسى، عليه السلام، ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون مواشيهم أو أغنامهم ووجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما قالتا: لا نسقي غنمنا... فسقى لهما غنمهما... ولا ريب في أن السر البلاغي لهذا الحذف أن يعلم القارئ وجود السقي من الناس، والدود والسقي من المرأتين، وسقي موسى للمرأتين، ورحم الله الجرجاني إذ قال موضعاً نكتة هذا الحذف: "وما ذاك إلا أن الغرض في أن يعلم أنه كان من الناس سقي، ومن المرأتين ذود، وأنهما قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء، وأنه كان من موسى، عليه السلام، من بعد ذلك، سقي. فأما ما كان المسقي؟ أغنماً أم إبلاً أم غير ذلك، فخارج عن الغرض، وموهم خلافة"⁽¹¹⁾.

الآية التاسعة: ﴿أَنْ أَعْبَىٰ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ الكهف: 79.

المحذوف في هذه الآية صفة السفينة، وتقديرها: سالحة، ومعنى الآية أن ذلك الملك الظالم يأخذ كل سفينة سالحة غصباً، فحذفت الصفة للسفينة، ولو أن الملك كان يأخذ كل سفينة سالحة كانت أم غير سالحة لما كانت هناك فائدة من إحداث خرق في السفينة التي

في هذه الآية يأمر الله - سبحانه وتعالى - عباده المسلمين ألا يتبعوا اليهود والنصارى لما دعواهم إلى اليهود أو التنصر، وسبب نزول هذه الآية أن عبد الله بن صوريا الأعور قال لرسول الله، صلى الله عليه وسلم: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبنا، يا محمد، تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله تعالى الآية⁽⁷⁾، ومعناها اتبعوا ملة موسى، عليه السلام، أو ملة عيسى، عليه السلام، وتهتدوا، وقل لهم، يا محمد: بل تتبع ملة إبراهيم مستقيماً، ولا نجيب دعوتكم إلى اليهود أو التنصر، ف(ملة) مفعول به لفعل محذوف تقديره: تتبع. الآية الثالثة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقُوضَةً﴾ البقرة: 283.

رهان: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: الضامن؛ لأن توثيق الدين مطلوب عند المداينة، وذلك لضمان إعادة الدين إلى صاحبة في الميقات المحدد المتفق عليه، فإن لم يوجد كاتب لتوثيق الدين، فالضامن هو رهن يقدمه المدين إلى الدائن. الآية الرابعة: ﴿وَأَيْنَمَا تَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء: 59.

إن الظاهر في هذه الآية أن (مبصرة) حال الناقة، أي أن الناقة ليست بعمياء، وهي بذلك الوصف لا تعد آية (علامة) من الله إلى نبيه صالح، عليه السلام، فلا بد من أن تكون (مبصرة) صفة لشيء محذوف قبلها، وهو كلمة (آية)، وإعراب (آية) حال، ومعنى (مبصرة) بينة، وقد صرح الله، عز وجل، بكلمة (آية) في موضع آخر، فقال: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ الأعراف: 73. وعلى هذا، فإن تقدير كلمة (آية) قبل (مبصرة) واجب لفهم الآية الكريمة.

الآية الخامسة: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْاَوْسَطِ وَقُولُوا لِلَّهِ قَنِينًا﴾ المائدة: 239، 238. رجال: جمع راجل، وهو الواقف، ركبان: جمع راكب. تبين هذه الآية كيفية صلاة الخوف عند قتال العدو والاتحام به، والمحذوف في هذه الآية هو جواب الشرط، وتقديره: فصلوا، أي أن معنى الآية فإن خفتهم فصلوا رجالاً أو ركباناً، أي فصلوا واقفين على أرجلكم أو ركائبكم، وإعراب (رجالاً) حال منصوبة.

الآية السادسة: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ البقرة: 185.

المحذوف هنا الحال، وتقديرها: صحيحاً بالغاً، أي من شهد الشهر صحيحاً بالغاً فليصمه، قال ابن جني: "فطريقه أنه لما دلت الدلالة عليه من الإجماع والسنة

- (1) سيبويه، الكتاب، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م، 1/255. وابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجّار، دار الكتب المصرية، 1952م، 1/249، 250.
- (2) ينظر: سيبويه، الكتاب، 1/255.
- (3) ينظر: ابن جني، الخصائص، 2/360-381.
- (4) ابن هشام، مُغْنِي اللَّيْبِيبِ عَنِ كِتَابِ الْأَعْرَابِ، تح د. عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، السلسلة التراثية (21)، الكويت، ط1، 2000م، 6/317-354.
- (5) ابن جني، الخصائص، 1/83.
- (6) أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998م، ص1059.
- (7) ابن هشام، السيرة النبوية، تح مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1955م، 1/549.
- (8) ابن جني، الخصائص، 2/378، 379.
- (9) ينظر: أبو جعفر النحاس، معاني القرآن، تح محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409هـ، 1/120.
- وابن جني، الخصائص، 2/361.
- (10) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تح محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ، رقم الحديث: 1814، 3/10.
- (11) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط3، 1992م، ص161.
- (12) ينظر: معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، 276/4. والخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3، د.ت، 187/3.
- (13) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، 3/109. والسيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م، 1/235، 236.
- (14) قال ابن جني: "وربما حذفت العرب المضاف بعد المضاف مَكْرُزًا: أَنَسًا بِالْحَالِ وَدَلَالَةً عَلَى مَوْضِعِ الْكَلَامِ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ)، أي: من أثر حافر فرس الرسول". ينظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح، تح علي النجدي ناصف، د. عبد الحلیم النجار، د. عبد الفتاح شلبي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د. ط، 1994م، 1/188. وابن هشام، مغني اللبيب، 6/416.
- (15) ينظر: أبو البركات الأنباري، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1999م، ص202. وابن هشام، مغني اللبيب، 4/119، 6/409. والزرکشي، البرهان، 3/148.
- (16) ينظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن، تح محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت، 1/47.
- (17) قال ابن جني في المحتسب، 1/188: "وَحَذَفُ الْمَضَافِ فِي الْقُرْآنِ وَالشُّعْرِ وَفَصِيحِ الْكَلَامِ فِي عَدَدِ الرَّمْلِ سَعَةً". وقال في الخصائص، 2/284: "كما أن حذفت المضاف أوسع وأقشى، وأعم وأوفى".

يخوفكم من أوليائه، أو بأوليائه، وقد يجوز أن يكون معنى الآية أن الشيطان يخوف أوليائه، وهم القاعدون عن القتال، من المنافقين، قال هذا بعض المفسرين.

الآية السابعة عشرة: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ المائدة: 6.

إن المقدر المحذوف من هذه الآية هو الفعل (اغسلوا)، وهو مقدر قبل (أرجلكم)، وإعراب (أرجلكم) مفعول به للفعل المقدر، وقد دل على هذا الفعل الشرع، لأن الرجل في الوضوء تغسل، ولا يجوز أن تمسح، وعلى هذا لا يصح أن تكون (أرجلكم) معطوفة على (رؤوسكم) كي لا تشترك معها في حكم المسح، ولا يجوز أن تعطف على (وجوه) للفصل بينهما.

الآية الثامنة عشرة: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا أُمَّمًا﴾ الأعراف: 160.

المحذوف من هذه الآية هو التمييز بعد (اثني عشرة)، وتقديره: فرقة، ولا يجوز أن يكون (أسباطاً) تمييزاً لسبيين:

الأول: أن تمييز العدد المركب مفرد منصوب، و(أسباطاً) جمع، جمع سبط.

الثاني: أن (أسباطاً) مذكر والعدد مؤنث، فلو كان تمييزاً لوجب أن يكون العدد اثني عشر.

ويعرب (أسباطاً) بدلا من (اثني عشرة) أو صفة ل (فرقة) التمييز المحذوف، و(أُمَّمًا) صفة ل (أسباطاً).

الآية التاسعة عشرة: ﴿لَنَكِينِ الرَّسُولِ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: 162.

المحذوف من هذه الآية هو فعل محذوف قبل كلمة (المقيمين)، تقديره: أمدح، وعلى هذا يكون إعراب (المقيمين) مفعولا به لهذا الفعل المحذوف، وعلة قطع هذه الصفة عن الصفات السابقة واللاحقة تبيان فضل الصلاة على غيرها.

ركبها موسى، عليه السلام، والرجل الصالح، وقد ذكر في بعض القراءات أن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، كان يقرأ: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا⁽¹²⁾.

الآية العاشرة: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الفجر: 22. المحذوف في هذه الآية هو المضاف، وتقديره: وجاء أمر ربك، أي عذابه، وذلك أن العقل دل على استحالة مجيء الباري؛ لأنه من سمات الحادث، وعلى أن الجائي أمره⁽¹³⁾.

الآية الحادية عشرة: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ طه: 96.

المحذوف فيها مضافان، والتقدير: فقبضت قبضة من تراب أثر حافر فرس الرسول⁽¹⁴⁾.

الآية الثانية عشرة: ﴿وَسَكَتِ الْقَرْيَةُ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْأَعْرَابُ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ يوسف: 82.

المحذوف فيها المضاف، والتقدير: وأسأل أهل القرية وأهل العير، إذ لا يصح إسناد السؤال إليها⁽¹⁵⁾.

الآية الثالثة عشرة: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْوَجَلَ﴾ البقرة: 93.

المحذوف في هذه الآية هو المضاف، وتقديره: حب العجل، قال أبو عبيدة: سقوه حتى غلب عليهم⁽¹⁶⁾.

والملاحظ في الآيات الأربعة السابقة أن المحذوف هو المضاف، وحذف المضاف كثير في القرآن الكريم وفي كلام العرب⁽¹⁷⁾.

الآية الرابعة عشرة: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ عَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ البقرة: 173.

المحذوف هو الفعل، وتقديره: فأكل فلا إثم عليه.

الآية الخامسة عشرة: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ البقرة: 184.

المحذوفان من هذه الآية فعل واسم، أما الفعل فتقديره: فأفطر، وأما الاسم، وهو بعد الفاء الواقعة في جواب الشرط، ويصح تقديره مبتدأ أو خبراً، والتقدير: فالواجب عدة من أيام أخر أو فعدة من أيام أخر واجب صيامها.

الآية السادسة عشرة: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: 175.

المحذوف من هذه الآية هو المفعول به الأول، وتقديره: المؤمنین، فيكون معنى الآية أن الشيطان يخوف المؤمنين أوليائه، وذهب الفراء والزجاج وأبو علي الفارسي إلى أن أوليائه اسم منصوب بنزع الخافض، والتقدير: